المبحث الرابع :النصوص الموازية

يدرس العمل الأدبي في مستويين :الأول هو "النص الرئيس" الذي يشكل مادة الكتاب وموضوعه،وله في الرواية عناصر اهتم النقاد بدراستها ومن أهمها العنصر المميز للرواية وهو السرد ولغته والزاوية التي يرى الراوي من خلالها الأحداث ،والزمن في بعديه من حيث زمن القص وزمن الوقائع والوصف المتعلق برؤية المبدع للأماكن والأشياء، وأنماط الشخصيات التي تتحرك في الزمان والمكان ،والموقف من هذه الشخصيات والدوافع التي تحركها ،وغيرها من عناصر المتخيل السردي.

أما المستوى الآخر فهو "النص الموازي" الذي يمثل الإطار الخارجي للنص الرئيس ،ومن أشهر النقاد الذين تناولوا هذا المستوى ..الفرنسي "جينيت" ..إذ يفكك النص الموازي إلى النص المحيط والنص الفوقي ،أما النص الفوقي فتندرج تحته كل الخطابات الموجودة خارج الكتاب متعلقة به وتدور في فلكه مثل الإستجوابات والمراسلات الخاصة، والشهادات والقراءات والتعليقات وغيرها من الملاحظات المتعلقة التي تخدم النص.[1]

والمقصود بالنص المحيط لدى "جنيت" العنوان الأساسي ،العنوان الفرعي،العناوين الداخلية، المقدمات،الملحقات أو الذيول،التنبيهات،التوطئة،التقديم،الفاتحة،الملاحظات الهامشية تحت الصفحات،النهايات،المنقوشات الكتابية،العبارات التوجيهية،فكرة الكتاب(عبارة توضع في بداية الكتاب تلخص فكرة المؤلف)،الأمثلة والشروحات،الإهداءات،الرباطات الملفوفة، الأنماط الأخرى من العلامات،والإشارات الثانوية مثل المخطوطات المنسوخة ،أي توقيعات المؤلف وكتابته الأصلية الخطية ،وكل هذه المعطيات التي تحيط بالنص من الخارج ،وهي عتبات أولية بها ندخل إلى أعماق النص وفضاءاته الرمزية المتشابكة.[2]

1ينظر فرج عبد الحبيب محمد مالكي،عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية (دراسة في النص الموازي) ،ماجستير في الأدب،جامعة النجاح الفلسطينية ،نابلس،24،2003م، ص:35

2 ينظر المرجع نفسه: ن ص

أقسام المناص:وجدنا أن "جنيت"يقسمها إلى قسمين هما النص المحيط والنص الفوقي حيث تنطوي تحتهما عناصر مناصية هامة .

* **النص المحيط**: وهو ما يدور بفلك النص من مصاحبات من اسم الكاتب،العنوان،العنوان الفرعي،الإهداء،الاستهلال...أي كل ما يتعلق بالمظهر الخارجي للكتاب كالصورة المصاحبة للغلاف،كلمة الناشر في الصفحة الرابعة للغلاف،وهو يأخذ عند"جنيت"أحد عشر فصلا من كتابه "عتبات"وتندرج تحته نصوص ثواني هي :

_***النص المحيط النشري*** : و الذي يضم تحته كل من الغلاف،الجلادة،كلمة الناشر، السلسلة..) وقد عرفت تطورا مع تقدم الطباعة الرقمية.

_***النص المحيط التأليفي***: و الذي يضم تحته كل من اسم الكاتب،العنوان،العنوان الفرعي، العناوين الداخلية،الإستهلال،التصدير،التمهيد،..)[1]

***النص الفوقي**:وتندرج تحته كل الخطابات الموجودة خارج الكتاب فتكون متعلقة في فلكه،

كالاستجوابات،المراسلات،الخاصة،التعليقات والمؤتمرات،الندوات...) وتنحصر في الفصول المتبقية في كتاب عتبات وكذلك تتفرع عنه نصوص ثواني مثل سابقه .[(2)]

ومن النصوص الموازية اخترنا للدراسة نمطين يتمثلان في :النصوص الإفتتاحية والنصوص المقتبسة

_**أولا النصوص الافتتاحية** : أو ظاهرة الفواتح والخواتم التعريف اللغوي :يرى ابن منظور أن[3]

<<فاتحة الشيء أوله(..)وفاتحه مفاتحة،وفتاحا،حاكمه (..)لاتفاتحوا أهل القدر،أي لاتحاكموهم

1 ينظر عبد الحق بلعابد ، م س ص : 49

2ينظر المرجع نفسه: ص 48

3 ينظر شادية شقروش ،م س، ص: 70 .

وقيل لا تبدؤوهم بالمجادلة و المناظرة و تفاتح الرجلان ،إذا تفاتحا كلاما بينهما وتخافتا دون الناس >>.[1]

التعريف الإصطلاحي:تلعب الفاتحة دورا استراتيجيا حاسما لكونها منطقة انفتاح على النص الغائب ،كما أنها تحقق الكون التخييلي(...)، يرى الإمام الزركشي أن الفاتحة هي أول ما يقرع الأسماع .[2]

وقد أسماها "جنيت" بالإستهلالات، وبأنها ذلك المصطلح الأكثر تداولا واستعمالا في اللغة الفرنسية واللغات عموما ،كل ذلك الفضاء من النص الإفتتاحي بدئيا كان أو ختميا،والذي يعنى بإنتاج خطاب بخصوص النص لاحقا به أو سابقا له ،لهذا يكون الاستهلال البعدي أو الخاتمة مؤكدة لحقيقة الاستهلال [3]

وإذا عدنا إلى رواية "**نادي الصنوبر**" فقد استهلت الكاتبة روايتها بإهداء لشخص عثمان بالي أردفت بعده الأبواب معنونة إياها بعناوين أو ما اصطلحنا عليه بالنصوص الإفتتاحية،وقد جاء الباب الثاني معنونا با:*" **كلما مس الليل فاكهة صارت عنبا** "* [4]

يستطرد مسعود في حديثه عن الليل وما يجول بخاطره أثناءه وما يعتريه من وحشة ووجوم وشوق ويمر عليه الليل طويلا ويحضره" أحمد وهبي" بأغانيه التي كانت كأنها كتبت خصيصا لمسعود: ما طْوَلْ ذا الليل كي طوال * وأنا فالْبيت غير وحدي[5]

حيث يناشد مسعود طيف عذرا التي تكبره سنا ،والتي يكون مستعدا للذهاب معها حيث تريد بإشارة من أصبعها ،ويقسو عليه الليل فهو يراها في النهار ولا يستطيع أن ينبس ببنت شفة؟،

1المرجع نفسه، ص:71.

2المرجع نفسه: ن ص

3 ينظر عبد الحق بلعابد ، م س، ص: 112

4 رواية نادي الصنوبر: ص 19

5 المصدر نفسه :ن ص

ولكنه بالليل يستحضرها ويعيش مع طيفها الساعات الطويلة على نار وجمار كيف لا وقد أنسته هذه العذرا محبوبته الأولى "لطيفة ".

يأتي النص الإفتتاحي الثاني: ***"أقوى ما في الحب هشاشته"*** [1]

تتحدث "ربيعة" على لسان مسعود مرة أخرى ،مسعود في حيرة من أمره فيما يحدث له فقد أسمت الكاتبة الباب بباب الحيرة:ومسعود :يا ربي ما الذي يحدث لي ؟[2]

حائرا مسعود كيف وقع في شباك هذه المرأة المختلسة التي اختلست عليه قلبه ،بعد أن اختلسته من عالم البطالة،احتار مسعود كذلك في الرجال الذين يسيل لعابهم عند رؤية نساء العصر الحاضر تينك الضئيلات النحيلات ،فهو يرى أن المرأة ذات الشحم واللحم هي ملكة، امرأة "امرئ القيس" و"أبي نواس" يرى فيهن عذراءه ،ويحار في حبه لها مع علمه بزيجاتها الكثيرة، ويقارن نفسه هو _العساس _ مع هؤلاء الأشخاص الفخام الذين عرفتهم عذرا.

النص الإفتتاحي : ***"لا أحد إنه الليل يحرس نجومه "*** [3]

تسرد لنا "ربيعة "كيف يكون حال مسعود عند ذكره أمه بعد تركه لها منذ مدة غير وجيزة وانتقاله لحراسة فيلة الحاجة عذرا ب<نادي الصنوبر> وكيف تجيش عواطفه وأشواقه وهو ما ويجعله يجهش بالبكاء أو يوشك، ولعل هذا ما جعل الكاتبة تعنون هذا الباب:بباب الاشتياق وما جاوره ((في الليل تستيقظ جميع حواسي و تصبح أقوى وتتضاعف طاقتي)) . [4]

1 ربيعة جلطي ص: 45

2المصدر نفسه :ن ص

3المصدر نفسه ص: 63

4 المصدر نفسه: ن ص

ثم أنه في هذا النادي ((الصنوبر)):لا داعي للحراسة ولا داعي للقلق على هذه الفيللات، وهذه الخيرات فهي محروسة داخل المحروسة الكبيرة .((لاخوف هنا على شيء من شيء ولا على أحد من أحد.....)).[1] فقد جاء العنوان مناسبا للباب فلا أحد إنه الليل يحرس نجومه.

_***"للصمت اللئيم أيضا.. ذاكرة "*** [2]: هذه الافتتاحية دلالة على أن صمت الحاجة عذرا كان مقصودا ،وأنها كانت ربما على علم بما يجول في خاطر مسعود وما يجيش به من أحاسيس تجاهها وهي التي أسقطته في شباكها ،مثلما فعلت بعبده الخليجي في حفلة طلاقها من قبل ،ربما كان ذلك لُؤْمًا من عذرا هذه التارقية الفاتنة ،فما ذنب مسعود إن كان وسيما كعبده؟ وما ذا جنى إن كانت له سمرة كسمرته؟كانت تتجاهله عن عمد كما يحلو لها أن تكسر شوكة هؤلاء الرجال والإطاحة بهم ،ثم ترفع رأسها في أنفة وشموخ تاركة إياهم يواجهون مر المصير .

_***"كم من الأسرار.... تحفظ الستائر المندلقة ألسنها "*** [3]

لم تأبه عذرا للفراش الوثير ولا الحرير الناعم وهي ابنة الصحراء والشمس، فكانت تزيح الستائر الفاخرة وترفض أن يُحْجب عنها ضوء الشمس، فهي تشعر بالغربة كلما لامست يداها الوسائد و الأغطية اللينة، فهي تذكرها بالرمال وملمسها،كانت الستائر تحجب عن عذرا الحياة،تحجب عنها الجمال والدنيا، وتعاملها وكأنها سر لا يجب أن يكشف ،عذرا سر يجب أن يكشف :ألا يخبئ تحت ستائر ولا جدران، عذرا بنت المساحات والفضاء الفسيح لا تقوى على الاختباء والتستر عن ضوء أمها الشمس التي تغذيها، وتغذي حياتها وجمالها منذ عهد "تينهينان" .

1ربيعة جلطي، م س، ص: 64

2 المصدر نفسه، ص: 83

3المصدر نفسه، ص: 131

_**ثانيا :النصوص المقتبسة:** إن النص الروائي تراكم معرفي يمتزج فيه النظام بالفوضى، والوعي باللاوعي ليشكل تياراً معرفيّاً دائم الحركة، اتصال واستمرار لا يعرف التداعي، مرصع بمختلف النصوص الغائبة، لتساهم في تماسك بنيته السردية وتناغم علاقاته الأساسية، فشكلت بذلك الآداب العالمية جزءاً لا يتجزأ من جسده الغني والمتمرد في الوقت نفسه، عن طريق التأثر والتأثير الذي يقوم بينهما، نتيجة لـــــــ «وحدة الجوهر الإنساني، وخلود العواطف البشرية وتشابهها رغم التباين والاختلاف بين الناس»[1].

ويعد الانفتاح على الثقافة العالمية، عنصراً هاماً في تنمية الرواية، فتلتحم فيها التجربة الإنسانية، وتجعله منفتحاً على آفاق واسعة من الرؤى والأفكار، «وتعد الثقافة إلى جانب الموهبة عنصراً أساسياً لكل تجربة »[2].

مفهوم الاقتباس في البلاغة العربية:

- **الاقتباس لغة**:هو طلب القبَس، وهو الشعلة من النار، ثم استعير لطلب العلم،فقيل:اقتبست منه علما.

- **الاقتباس مصطلحا**:

أما في الاصطلاح فيُقصد به أن يضم المتكلم إلى كلامه كلمة أو آية من آيات الكتاب العزيز خاصة، دون أن يقول فيه (قال الله) ونحوه، فما كان منه في الخطب والمواعظ ومدح الرسول ص و آله وصحبه، ولو في النظم، فهو مقبول، وما كان في الغزل والرسائل والقصص فهو مباح. ونعوذ بالله ممن ينقل ما نُسب إلى الله تعالى إلى نفسه، أو يقيس الآي ويضعها معرض الهزل.[3]

1 عماد حاتم : النقد الأدبي وقضاياه الحديثة، دار الشام،(ط1) -1988، ص:20

2 إبراهيم رماني : الغموض في الشعر العربي، جامعة الجزائر (ط1) _1986 ،ص: 122

3 جلال المخ: ثورة القصائد على العقائد. كتاب المعارف، دار المعارف، سوسة، تونس(د ط)1994م، ص: 76.

النصوص المقتبسة نمط آخر من النصوص الإفتتاحية لكننا لم نعثر عليها إلا مرة واحدة في هذا العمل الروائي" نادي الصنوبر "،لكنه يعد هو الآخر افتتاحيا، وقد استعملته الروائية في تقديم" باب المعسول "،هذا النص هو بيتان من أغنية شعبية جزائرية للفنان الراحل "أحمد وهبي "لكاتبها :"الشاعر مصطفى بن إبراهيم ".

وهما : ***مطول ذا الليل كي طوال ******* وأنا فالبيت غير وحدي***

غزلي مبني على الخبال *******ما صبت سلاك كي نسدي[1]

والجلي الواضح هو أن هذا الاقتباس مقصود من الكاتبة، هو إغراء للقارئ ومحاولة جذب له وكسر لروتينية القراءة، فقد بدلت الكاتبة الكلام المنثور بالغناء المأثور ،وأي غناء فكل من يعرف" أحمد وهبي " يدرك لماذا استعملت الكاتبة بيتين من إحدى أغانيه، فهو عملاق من مغنيي الغزل العذري الجزائري، وربما قدمت الكاتبة هذين البيتين لإحساسها بأن القارئ سوف تدركه السآمة ويمج النص ويرميه، من توالي ذات النمط الشكلي، (وهنا تظهر قيمة التعالي النصي)، فبيتان غزليان يصفان طول ليل العاشق ووحدته يكونان بمثابة بهارات للنص تجمل طعمه و شكله.

وما أقسى طول الليل على عاشق لايعلم محبوبه بمشاعره،ويتوازى هذان البيتان مع حالة مسعود:<<ضعيف أنا أمام هذه الأغنية لأحمد وهبي...وكلما هجمت علي ذاكرتي على حين غرة تسكنها، وتظل بها أياما ترن، (...)ترفعني وتطهرني أنا العاشق المهموم الضائع .>>[2]

1ربيعة جلطي ،م س، ص: 19

2المصدر نفسه: ن ص